

## مستقبل اللغة العربية والاستثمار بها

**مكانة اللغة العربية:** إنَّ مكانة هذه اللغة واضحة جلية، فهي اللسان الذي اختاره الله عزوجل فأنزل به آخر رسالة سماوية، وليس بعد اختيار الله اختيار. فهي ليست بحاجة إلى شهادات واعترافات... ولكن يمكن الإشارة إلى آراء بعض الباحثين – خاصة المستشرقين- لمعرفة أفكارهم ومواقفهم من هذه اللغة الكريمة.

أمَّا منزلة العربية عند علمائها وأعلام المسلمين وفقهائهم فسامية لا تحتاج إلى مزيد بيان أو طول توقّف، فعندما سمع النبي (عليه الصلاة والسلام) شخصًا يلحن قال: أرشدوا أخاكم فقد ضل<sup>1</sup>. ومرّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- بقوم قد رموا رشقًا فأخطؤوا، فقال: ما أسوأ رميكم! فقالوا: نحن متعلمين، فقال: لحنكم أشدّ علي من رميكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رحم الله امرأ أصلح من لسانه<sup>2</sup>.

وقال عمر أيضًا، رضي الله عنه: "تعلموا العربية فإنها من دينكم، تثبت العقل وتزيد في المروءة".

وتعلّمها واجب عند العلماء؛ لأنها الأداة المهمة لفهم نصوص الدين الحنيف وأحكامه، وإتقانها يعد من أبرز الشروط التي يجب توافرها في العالم الذي يرقى إلى رتبة الاجتهاد. وكما يقول الإمام ابن تيمية: مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال عبد الله بن المبارك: "لا يُقبل الرجل بنوع من العلوم مالم يُزيّن علمه بالعربية". وقال أبو منصور الثعالبي في مقدمة كتابه "فقه اللغة وسر العربية": "إنَّ من أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى – صلى الله عليه وسلم- ومن أحبَّ النبي العربي أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبَّ العربية عُني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها"<sup>2</sup>.

وقال الزمخشري في خطبة كتابه "المفصل": "ولعلَّ الذين يغضون من العربية، ويضعون من مقدارها، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها، حيث لم يجعل خيرة رسله وخيرة كتبه في عجم خلقه ولكن في عربيه، لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج الواضح، وزيفاً عن سواء المنهج"<sup>3</sup>. ونُقل عن أبي الريحان البيروني قوله: "لأنَّ أهجى باللغة العربية خير لي من أمدح بالفارسية"<sup>4</sup>. ونسب القول نفسه إلى المستشرق "سخاو"<sup>5</sup>.

وقد عُني الخلفاء والأمراء عبر العصور بالعربية وحرصوا على نقائها وبعدها عن اللحن. فقربوا علماءها منهم وشجعوهم، وأنزلوهم المنزلة اللاتقة بهم. وأخبار مجالسهم ومحافلهم اللغوية مشهورة مبنوثة في كثير من المظان، الدينية، والأدبية، واللغوية، والتاريخية.

ويؤكد المؤرخ دروزي أنَّ أهل الذوق من الإسبان بهرتهم نصاعة الأدب العربي، فاحتقروا البلاغة اللاتينية، وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين. ووصف المستشرق "ماسينيون" اللغة العربية قائلًا: "إنَّ اللغة العربية أداة خالصة لنقل بديع الفكر في الميدان الدولي، وإنَّ استمرار حياة اللغة العربية دوليًا لهو العنصر الجوهري للإسلام بين الأمم في المستقبل". ويعجب المستشرق "أرنست رينان" من خصائص اللغة العربية وأبرزها ظهورها مكتملة، فنحن لا نعرف لها طفولة ولا شيخوخة. قال "رينان"، تلك اللغة التي

فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها. لم يُعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرّج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة"<sup>6</sup>.

وكتب "جون فرن" قصة خيالية بناها على سيّاح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من سطحها، ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض بدا لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على مبلغ رحلتهم، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية. ولما سئل "جون فرن" عن وجه اختياره للغة العربية، قال: "إنها لغة المستقبل، ولا شك أنه يموت غيرها، وتبقى حية حتى يُرفع القرآن نفسه"<sup>7</sup>.

وبعد أن تابع المستشرق الألماني (يوهان فك) ببحثه القيم رحلة العربية عبر العصور، قال مبيناً قوة اللغة العربية وقدرتها على مواجهة التحديات والصمود أمام كل العواصف التي حاولت أن تقتلعها وتطمس معالمها، وتقضيها عن مسرح الحياة بكل جوانبها: "... ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد، على أنه أقوى من كل محاولة يُقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر. وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية، ما بقيت هناك مدنية إسلامية"<sup>8</sup>. يتضح من قول "يوهان فك" أنّ هذه اللغة هي جزء من كيان الأمة الإسلامية، يصعب بل يستحيل أن تُسلخ عنها مهما تحاول الدعوات المغرضة وأصحابها النيل من مكانة العربية وتشكيك الأجيال بقدرتها على استيعاب علوم العصر ومجاراته.

وقال المستشرق الألماني "فريتاغ" معجباً باللغة العربية: "ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إنّ الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ، وإنّ اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن - الغرباء عن العربية- وبين ما ألقوه فيها حجاباً لا يُتبيّن ما وراءه إلا بصعوبة"<sup>9</sup>. وعلى الشابكة = الإنترنت ( موقع رابطة أدباء الشام ) يلخص لنا الباحث الأردني صالح أحمد أبو عمران كتاباً مثيراً للباحث الأردني عبد الرحمن البوريني، يذهب فيه - بعد بسط أدلة عديدة- إلى أنّ العربية هي أصل اللغات كلها. حاول الباحث استقصاء أدلة تاريخية ولغوية ودينية متعددة. ومما يُحمد للبحث أنّ عمله يمثل جهد الغيور على العربية، الذي يجدّ في تعزيز أحكامه بالأدلة القائمة على المنهجية. ولكن المسألة - كما يقول الباحث نفسه والمعرّف بالكتاب - تحتاج إلى مزيد من البحث والمناقشة.

والحقيقة المفاجئة لكثيرين من الأوربيين والشرقيين، بل لبعض العرب المحدثين، هي أنّ الثقافة العربية أقدم من الثقافتين (اليونانية والعبرية). وقد كتب الأستاذ عباس محمود العقاد كتباً كثيرة من الأدلة التي تؤكد هذه الحقيقة. وأوجز الأستاذ العقاد هذه الأدلة قائلاً: "... فالأبجدية اليونانية عربية منسوبة عندهم إلى قدموس الفينيقي، وهو في كتاب مؤرخهم الأكبر (هيرودوت)، أول مَنْ علّمهم الصناعات. وسفر التكوين وسفر الخروج صريحان في تعليم الصالحين من العرب لكل من إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام. وشاعت في السّفرين رسالة (الآباء) قبل أن يُعرفوا باسم (الأنبياء)؛ لأنّ العبرانيين عرفوا كلمة (النبى) بعد وصولهم إلى أرض كنعان، واتصلهم بأئمة العرب بين جنوبي فلسطين وشمالى الحجاز. فيحق العجب ممن يجهل هذه الحقيقة التاريخية المسجلة بالكتابة منذ أُلوف السنين"<sup>10</sup>. ويبين العقاد سبب شيوع

السبق للثقافة اليونانية فيقول: "... إلا أنّ الإشاعة الموهومة كثيرًا ما تطغى على الحقيقة المسجلة، ولا سيما الإشاعة التي تحتمي بالصلوة الحاضرة، وتملأ الأفاق بالشهرة المترددة"<sup>11</sup>.

### من خصائص العربية<sup>12</sup>:

ليس الهدف - هنا - بسط الكلام في خصائص العربية ، ففي ذلك مصنفات وبحوث كثيرة. ولكن موضوع البحث يستدعي التوقف عند هذه المسألة؛ لأن السياق يتطلب التذكير بمنزلة العربية وخصائصها، ونحن في صدد الدفاع عنها، واستشراف مستقبلها، وبيان العوامل التي تؤكد قدرتها على مسايرة مستجدات العصر، والصمود أمام أعاصير العولمة وغيرها من الدعوات الهدّامة.

تمتاز اللغة العربية بخصائص كادت تتفرد بها بين اللغات؛ منها:

- 1- أنها أقرب أخواتها إلى السامية الأم، بحسب آراء باحثين كثيرين، منهم " أولسهوزن".
- 2- أنها أكثر مرونة وتصرفاً من أخواتها الساميات.
- 3- الإعراب. ولعلها أوسع اللغات التي عرفت هذه الظاهرة قديمًا وحديثًا. ومن اللغات الحاضرة التي مازالت معربة: الحبشية والألمانية.
- 4- دقة التعبير: فكتب اللغة ودواوين الشعراء، والمعجمات طافحة بمفردات لأدق التفاصيل التي تدل على الأشكال، والأنواع ، والهيئات، والحركات، والألوان، وغير ذلك. فعلى سبيل المثال: نجد أوصافًا دقيقة لأحوال المشي أو هيئاته: كالهرولة، والركض، القهقري، التمايل، والتبختر، والهويني، والقفز، والتدله، والتثني ... وغير ذلك.
- 5- غناها بالمفردات، ومعجماتها تشهد بذلك.
- 6- غنى السلم الصوتي فيها، وتفرد بها ببعض الحروف؛ كالضاد.
- 7- تميزها ببعض الخصائص الصرفية والنحوية. فمثلًا جعلت للمثنى علامات تميزه، في الوقت الذي لا نجد لذلك نظائر في بعض اللغات؛ كاللغة الفارسية.
- 8- كثرة المجاز. ويرى ابن جني أن المجاز واسع الفشو في العربية.
- 9- المرونة؛ فهي تأخذ من اللغات وتعطيها. إن ظاهرة التأثر والتأثير عامة بين اللغات، ولكن العربية واسعة المرونة في هذا المجال.
- 10- كثرة المترادفات: وإن كانت هذه السمة موضع خلاف؛ (فهي بين منكر لها ومؤيد).
- 11- وجود الألفاظ المتضادة، وكثرة الجموع، والمصادر. ومنهم من يرى هذه السمات الأخيرة سلبية. وسبب الظواهر الأخيرة يرجع إلى تعدد اللهجات. فعندما جُمعت اللغة برزت هذه الظواهر. وإذا أضفنا إلى هذه الخصائص طرائق التوليد أو النمو اللغوي؛ كالاشتقاق، والتعريب، والنحت ... تجلت قدرة العربية على مواجهة الحصار أو الانحسار.

وأما عن صعوبة الإعراب المزعومة في العربية فيقول د. رمضان عبد التواب: " وإن وُجدت صعوبة في بعض قواعد العربية، فينبغي أن نعلم أنّ العربية ليست بدعًا في هذا، فلا تخلو لغة أو علم من صعوبة. يتجلى ذلك من خلال مقارنة العربية بغيرها من اللغات المتداولة... ولكيلا يندفع شبابنا المثقف بهذه الأكذوبة الخدّاعة، أحبّ أن ألفت نظرهم إلى أنّ هذا الإعراب المعقّد الصعب، لا تنفرد به العربية الفصحى

وحدها، بل هناك لغات كثيرة، لا تزال تحيا بيننا، وفيها من ظواهر الإعراب المعقد ما يفوق إعراب العربية بكثير؛ فهذه اللغة الألمانية مثلاً، تقسم أسماءها اعتباراً إلى مذكر ومؤنث، وجنس ثالث لا تعرفه العربية، وهو: المحايد، وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة، أربع حالات إعرابية، هي حالات: الفاعلية والمفعولية والإضافة والقابلية. والحالة الأخيرة حالة لا تعرفها العربية، وليست حالة خاصة فيها.... وإنّ الذي يشكو من كثرة جموع التكسير في العربية، وغلبة الشذوذ على قواعد هذا الجموع فيها، سيحمد للعربية الاطراد النسبي في هذه القواعد إذا درس اللغة الألمانية، ورأى كثرة صيغ هذه الجموع فيها، وفقدان القاعدة التي تخضع لها تماماً<sup>13</sup>.

### الاستثمار باللغة:

منذ القدم كانت اللغات ومازالت رديفة للنشاط الاقتصادي أو شقيقة له لا تفارقه. والناظر في تاريخ الشعوب عبر العصور يجد هذه الحقيقة جلية ملموسة. فعندما كانت الريادة الحضارية لأمتنا العربية فيما مضى، نجد أنّ اللغة العربية انتشرت بانتشار نشاط أهلها، سواء أكان هذا النشاط فتوحات أم تجارات أم أي شكل من أشكال الامتداد والتواصل. فالتجار العرب نشروا الإسلام والعربية في بلدان شرقي آسيا وجنوبيها، من خلال الرحلات التجارية، فغدت العربية لغة عالمية. وكذا الأمر بالنسبة للغة الإنجليزية في عصرنا، فهي لغة التواصل العلمي والاقتصادي وغيرهما عبر العالم.

والعلاقة بين الاقتصاد واللغة العربية وطيدة عريقة – كما ذكرنا - . فأسواق العرب في الجاهلية والإسلام كانت محافل تجارية ولغوية معاً. وكانت هذه الأسواق تمتد طوال شهور السنة بصورة منتظمة متتابعة. فيعقد سوق (دومة الجندل) في ربيع الأول، وسوق (هَجَرَ) في ربيع الآخر، وسوق (عُمان) في جمادى الأولى، وسوق (المُشَقَّر) في جمادى الآخرة، وسوق (صحار) في رجب، وسوق (الشَّحْر) في شعبان، وسوق (صنعاء) في النصف الثاني من رمضان، وسوق (عُكاظ) – كانت أكبر أسواق العرب وأكثرها شهرة - في ذي القعدة، وسوقا (ذي المجاز ومَجِنَّة) قرب أيام موسم الحج، في ذي الحجة، وسوق (حَجْر) في المحرم<sup>14</sup>.

ولم تكن هذه الأسواق لتبادل السلع التجارية فحسب، بل كانت محافل تعرض فيها القصائد والخطب، وتجرى فيها محاورات بين الأدباء والنقاد، وأخبارها مشهورة ذائعة. وقيل الحديث عن بعض مجالات الاستثمار اللغوي، يجدر عرض نبذة عن علاقة العربية بالحاسوب.

**اللغة العربية والحاسوب:** لكل لغة من اللغات خصائص تمتاز بها. وعلى الرغم من أنّ اللسانيات المعاصرة حاولت جاهدة ومازالت اكتشاف العوامل المشتركة أو القواسم المشتركة بين اللغات، فإن الاختلاف بين خصائص اللغات ما زال واسعاً، وهذا لا يرجع إلى قصور البحث العلمي في هذا المجال بل مردّ ذلك إلى التباين أصلاً بين طبائع اللغات وخصائصها، وهذا التباين صاغته عوامل عديدة لا مجال لذكرها الآن. والاختلاف في خصائص اللغات يعوّق الأعمال التقنية الحاسوبية المتعلقة باللغات. ولاشك في أنّ معرفة أكبر قدر ممكن من القواسم المشتركة بين اللغات أمر مهم في صعد كثيرة من أبرزها الترجمة الآلية.

فمثلاً تحتاج قواعد النحو الإنجليزي لصياغتها آلياً إلى نحو 1000 قاعدة رياضية، في حين وصل عدد القواعد الرياضية غير المشكولة للنحو العربي، في بعض المحاولات التي أُجريت لصياغته آلياً، إلى 1200 قاعدة<sup>15</sup>. وإنَّ هذا التفاوت الواسع بين خصائص النحو الإنجليزي والنحو العربي، يظهر لنا مدى قصور برامج اللغة الإنجليزية – وهي الشائعة في برامج التقانة والحاسوب - عن استيعاب طاقات اللغة العربية.

ولا يزال مطورو البرامج الحاسوبية يواجهون صعوبات جمة في معالجة قضايا اللغة العربية؛ ويرجع ذلك إلى ثراء اللغة العربية صوتاً وصرفاً ونحواً ومعجماً، كما يرجع إلى قصور البرامج والتقانات المتعلقة باللغة العربية، وعدم مسايرتها للتطورات التي تحقّقها العلوم الأخرى المتصلة بمعالجة اللغات آلياً؛ كالرياضيات الحديثة، والمنطق، والإحصاء، وغيرها من العلوم ذات الصلة في هذا المجال.

وعندما شاع استعمال الحاسوب، واجهت الكتابة العربية هزة عنيفة ناجمة عن أمرين: أولهما: أنّ برامج الطباعة الحاسوبية مصممة بحسب خصائص اللغة الإنجليزية، والأمر الآخر هو ضرورة مسايرة هذا التطور الآلي الهائل مع عدم وجود اهتمام بالبرامج المناسبة للغة العربية من قِبَل الشركات المعنيّة بالحاسوب، ونتج عن ذلك ظهور صيحات تنادي بإلغاء الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية محلها<sup>16</sup>، كما نادى بعضهم بكتابة الكلمات العربية بحروف عربية منفصلة<sup>17</sup>. والجدير بالذكر أنّ هذه الدعوات لم تكن جديدة، فقد دعا بعضهم إلى استبدال الحروف اللاتينية بالعربية في مطلع العصر الحديث، قبل انتشار الحاسوب. ولكن هذه الدعوات قوبلت بالرّفص من المجمع العلمية، وجمهور الأمة والغُير على العربية؛ لأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين اللغة ورسم كلماتها أو كتابتها؛ فالمسّاس بقواعد الكتابة هو شكل من أشكال المسّاس باللغة ذاتها؛ فالكتابة هي الوعاء الذي يجسّد معاني اللغة، ويساعد على نقلها من عالم الأفكار والمعاني، إلى عالم الحس. فلم تلق هذه الاتجاهات المريبة وأمّثالها صدى أو قبولاً لدى الأمة، فماتت في مهدها، وإن كانت تطل بين الحين والآخر متحينّة الفرص المواتية والمآزق التي تمر بها الأمة ولغتها.

ولكن الجهود المخلصة التي تغار على الأمة ولغتها لم تعدم الوسيلة المناسبة لمسايرة التطور الحاسوبي. فقد تمكن الدكتور سيد حيدر (وهو من أصل باكستاني)، من تصميم نظام آلي لاختيار شكل الحرف العربي تلقائياً بحسب الحرف السابق عليه، والحرف اللاحق له؛ فحرف العين – مثلاً - له أربعة أشكال: 1- ع 2- ع 3- ع 4- ع، يتعيّن اختيار شكل منها بحسب موقعه من الكلمة؛ وبذلك اختصرت لوحة المفاتيح العربية فشملت الحروف الأصلية فقط؛ فالحاسوب يختار الشكل المناسب للحرف وفقاً للسياق الذي يرد به داخل الكلمة. وبدا حُلّت معضلة كبيرة كانت تواجه لوحة مفاتيح الكتابة العربية<sup>18</sup>. ثم تطورت بعد ذلك طرائق الكتابة العربية الحاسوبية؛ كبرامج التعرف الضوئي على الحروف العربية، وهو ما يسمى بالماسح الضوئي Optical Scanner، وبرامج إملاء النصوص العربية صوتياً على الحاسوب... وما زالت دأبة في التحسن والتطور<sup>19</sup>. و طُوّرت البرامج التي تتناول الكتابة على مستوى الكلمة، وعلى مستوى الجملة، كما ظهرت برامج التشكيل الآلي للنصوص اللغوية، وبرامج تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية. وكل هذه البرامج آخذة بالتعديل والتطوير مستفيدة من مستجدات دنيا الحاسوب، وخبرة المبرمجين التي تسير التطور الحاسوبي المستمر. واتسع نطاق اللقاء بين العربية والحاسوب؛ ليشمل مجالات التعليم، والمعجم العربي وغيرها...<sup>20</sup>.

إنّ رجال الأعمال والمستثمرين يقع على عواتقهم شطر كبير من مسؤولية النهوض بالعربية ونشرها... وإنّ النفس التجاري القصير الذي يلهث وراء الربح السريع والثراء العاجل يجعل هذه الفئة المهمة من فئات المجتمع بعيدة عن الاضطلاع بمسؤولياتها على الوجه الأمثل. فلو خصّ هؤلاء المستثمرون اللغة العربية ببعض اهتمامهم للمسنا لذلك أثرًا بارزًا في مضمار النهضة اللغوية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، نتوقف قليلاً عند أحد مجالات الاستثمار، وهو مجال البرمجيات، أو الحاسوب بشكل عام. فلا يخفى على الجميع بأن الحاسوب بطاقاته الهائلة يمتلك الكثير والكثير من مجالات الاستثمار اللغوي. فإذا نظرنا إلى البون الشاسع بين البرامج المتطورة التي حظيت بها اللغات الأجنبية، وفي طليعتها الإنجليزية، وما نال اللغة العربية منها، تبين لنا الهوة الكبيرة، والمسؤولية الجسيمة التي تنتظر أبناء العربية، على تعدد فئاتهم وتنوع حقولهم واهتماماتهم، ونخصّ المستثمرين منهم.

وهنا تتوارد إلى الأذهان تساؤلات، بل أوجه كثيرة من العجب واللوم والعتاب... منها: هل الجري الحثيث وراء المكاسب السريعة هو الذي حجب الاستثمار في مضمار اللغة؟ وهل الاستثمار اللغوي خاسر؟ هل غياب الاستثمار اللغوي يقف وراءه غير قليل من ضعف الانتماء اللغوي، أو ضعف الوعي اللغوي؟ هل الأسواق التجارية المتخمة بكل أصناف التنافس لم تأذن للاستثمار اللغوي بأن ينشط؟ هل غياب الاستشعار بأهمية اللغة العربية شارك في تأخر هذا المنشط الاقتصادي؟... الإجابات عن أسئلة كثيرة كهذه، قد تكون متضافرة على إقصاء الاستثمار اللغوي وتجاهله أو تأخره.

ويبدو أنّ إحلال اللغة المكانة اللانقطة بها في مناخ العولمة اللغوية هو من أبرز العوامل الحافزة على الاستثمار في حقول اللغة. فعندما يستشعر المرء أهمية شيء يقبل عليه، ويبدل كل ما في وسعه لإعطائه ما يتطلبه من نشاط واهتمام. ولن نكثر التفصيل – هنا- في العوامل التي صرفت قسطاً كبيراً من اهتمام كثيرين من أبناء الأمة عن الاهتمام بالعربية ومنحها ما تستحقه من الرعاية والعناية. فتلك العوامل كثيرة، ولعل من أبرزها العولمة، فإن انتشار ثقافة الغالب ولغته تجعل المغلوب يقبل عليهما، ويعرض صفحاً عن ثقافته ولغته. فالانبيهار بما أثمرته الحضارة الغربية من مظاهر التطور أعشت أبصار كثير من الشعوب (المغلوبة حضارياً)، ومنهم أبناء أمتنا. فحظيت اللغة الإنجليزية باهتمام غشي معظم مظاهر حياتنا، وتراجعت اللغة العربية بشكل مذهل، بل غدا التباهي بمعرفة الإنجليزية مظهرًا حضاريًا، فيه يتنافس المتنافسون... وعندما يعود الاهتمام بالعربية إلى الصدارة انتماء وحبًا واعتزازًا، فسنرى أنّ حقول الاستثمار اللغوي رحبة وكثيرة... يكفي للاستدلال لها إلقاء نظرة على المكتبة الإنجليزية ذات العلوم المتنوعة الواسعة لنرى نظائرها في مكتبة اللغة العربية. ومن حقول الاستثمار اللغوي ما شهدته حركة المعجمات في العصر الحديث.

ففي أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، شهدت الولايات المتحدة الأمريكية حرباً لغوية أطلق عليها "حرب المعجمات"<sup>21</sup>، وكان للمنافسة التجارية اللغوية اليد الطولى في هذه الحرب.

وقعت هذه المنافسة التجارية بين اثنين من رواد صناعة المعجم الحديث للغة الإنجليزية: أحدهما (وورسستر Worcester) الذي ناصرَ النموذج الإنجليزي المحافظ (أي: الهيمنة اللغوية لبريطانيا) والآخر: هو (ووبستر Wobster) الذي ساعد في ترسيخ اللهجة الإنجليزية الأمريكية لتكون اللغة السائدة. ولقي هذا

المعجم في أمريكا مكانة تشبه مكانة معجم (روبير Rober) في فرنسا، و (دودن Duden) في ألمانيا، ولازال معجم (وبستر) منافساً للمعجمات الإنجليزية الأخرى إلى اليوم<sup>22</sup>.

وهناك مجالات أخرى كثيرة للاستثمار اللغوي؛ من أبرزها ما يتعلق بعالم الحاسوب وبرمجياته وأنظمتها وقدراته التي تزداد يوماً بعد يوم. ونظراً للإقبال الملحوظ على تعلم اللغة العربية، من قبل الناطقين بغيرها – لأسباب عديدة - فسيزداد الطلب على البرامج العربية بكل أصنافها وأنشطتها التي تسير مستجدات العصر. واللغة العربية غنية بمفرداتها وتراكيبها وأساليبها ودلالاتها. لذا فهي تحتاج إلى جهود حاسوبية وتقنية لتلبي الطلب المتزايد على برامجها، وبذا ستتسع أمام المستثمرين مجالات تنمية رؤوس أقوالهم إن أعاروا هذا المضمار الاهتمام الواسع. فصناعة المعجمات باستخدام الحاسوب – كما أشرنا - ذات عوائد جمة، وكذلك برامج الترجمة الآلية من العربية وإليها، وبرامج المعالجة الآلية لعلوم اللغة العربية، فضلاً عن مناهج تعليم العربية لأبنائها ولغيرهم. ولتحقيق ما دُكر وغيره:

- 1- لا بد من تخطيط دقيق يراعاه المسؤولون وأصحاب القرار في جميع الأصعدة. ويشمل هذا التخطيط الوطن العربي، مع تعزيز الصلة بالبلدان الإسلامية وغيرها من البلدان التي ترغب في الاهتمام بالعربية. وللجامعة العربية دور مهم إذا ما حظي هذا الأمر بالعناية المنشودة.
- 2- ولا بد أيضاً من اهتمام كل قطر عربي برعاية هذا الوعي اللغوي وإيلائه ما يستحقه من الالتزام به وتطبيق مناشطه في مجالات الحياة المتعددة.
- 3- ويلزم لهذا أيضاً أن يتعزز الوعي اللغوي والاعتزاز اللغوي لدى أفراد المجتمع؛ لأن مسؤولية النهضة اللغوية لا تنحصر في جهة معينة، بل إن هذا العبء يشمل جميع أفراد المجتمع.

فبدلاً من أن تستأثر شركات التقنية وبيوت الخبرة الأجنبية في تصميم البرامج الحاسوبية المتعلقة باللغة العربية، يمكن للمستثمرين العرب إذا اقتنعوا بضرورة النهضة اللغوية وأهميتها أن يتولوا هذا الأمر، وسيجدون أن له عوائد ربحية لا تقل عن أي مجال استثماري آخر، بل ربما يفوق كثيراً من أوجه الاستثمار. ولتأكيد ذلك تكفي الإشارة إلى الأرباح الهائلة التي تجنيها شركات (التقانة) من تصنيع الحواسيب وبرامجها التي تتطور بسرعة مذهلة، كشركة (مايكروسوفت)، وأبل، ودل، والأسس Asus وغيرها.

والمشاركة الشعبية في هذا المضمار لها شأن لا يمكن التقليل من أهميته. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى ما عُرف بمشروع (الجنيه) في القطر المصري الشقيق، وهو وليد اقتراح لشاب مصري نشيط، دعا بأن يشارك كل فرد بقرش واحد من دخله (وهو الحد الأدنى) لبناء المصالح، وتحرير الاقتصاد المصري من هيمنة الاحتلال الأجنبي، والنهوض بالصناعة الوطنية، فأنشئت لهذا الغرض جمعيات ولجان حققت الهدف من هذا الاقتراح الوطني الرائع<sup>23</sup>.

ويمكن أن تتبنى أمثال هذه المشاركات الشعبية لجان خاصة بهذا الشأن من رجال اللغة والاقتصاد بعيداً عن الإجراءات الشائكة التي قد تعرقل هذه المشروعات في حالة إسنادها إلى الدوائر التي تطوقها هذه الإجراءات.

وما أحوجنا اليوم إلى هذه المناشط الشعبية التي تعزز الانتماء اللغوي والاعتزاز به، وتؤتي أكلها المادي على صعيد التنمية اللغوية.

واللغة وطيدة العلاقة بكل ميادين الحياة؛ فهي الأصرة التي تربط الإنسان بالعالم الخارجي، وبالعالم الداخلي... وليس بدعاً القول بأن الاستثمار بكل مجالاته وثيق الصلة باللغة. فالاستثمار لا يمكن أن يتحقق بغير التواصل، وأرقى أدوات التواصل هي اللغة. فالبيع والشراء والاتجار بكل أشكاله يعتمد على اللغة، فالبيع التي تعد مكوناً مهماً من مكونات الاستثمار ترتكز على الوثائق والمستندات المتنوعة، وأداة ذلك كله اللغة. وقد عبّر عن هذا الوجه من وجوه الاستثمار الألماني الأسبق "ويلي برانت" فقال: "إذا أردت أن أبيعك بضاعتي يجب أن أتحدث لغتك، وإذا أردت أن تبيعني بضاعتك فعليك أن تتحدث بالألمانية"<sup>24</sup>. فإذا كان تسويق البضاعة يتطلب التحدث بلغة المستهلك أو المشتري، فما بالك بأوجه النشاط الأخرى التي يشتمل عليها الاستثمار، فلو جمعنا ما تمليه مظاهر النشاط الاستثماري، لوقفنا على كثرة من الأسباب التي تدعو إلى تبادل نشر اللغات، بين المنتج والمستهلك. والمنتج أولى بالمطالبة بإتقان لغات المستهلكين أو المشتريين... وإذا علمنا ضخامة الاستثمارات الأجنبية في بلداننا العربية تبدت لنا حاجة أصحاب تلك الاستثمارات إلى تعلم العربية وإتقانها. ولو تحقق الاهتمام باللغات بين المنتجين والمستوردين - في ضوء ما دعا إليه المستشار الألماني الأسبق، لخفت حدة العولمة اللغوية.

### مستقبل اللغة العربية

قبل الحديث عن مستقبل اللغة العربية، يحسن أن نلقي الضوء على عوامل اندثار اللغات، لنرى حال لغتنا إزاء هذه العوامل. فلعل هذه الوقفة تحفزنا على تجنب تلك العوامل، وتعزز الجهود الرامية إلى صون العربية وحمايتها.

**موت اللغات:** من أبرز عوامل موت اللغات أو اندثارها الهيمنة بأنماطها المتعددة؛ الاجتماعية والفكرية والسياسية. والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها دراسة قامت بها نانسي دوريان (Nancy Dorian) عن موت اللغة الغيلية (Scot-tish Gaelic language) وهي لغة انحسرت من منطقة (Highland Scotland) التي هي منطقة نفوذها... ولاحظت دوريان أنّ مستوى الإجابة في استخدام اللغة الغيلية يتناسب والسن؛ فالأكبر سناً أكثر إجابة، أمّا الأجيال الأحدث فنجد لغتهم الغيلية مضطربة. وبعد ذلك نجد أنفسنا أمام جيل لا يعرف سوى كلمات غيلية متفرقة تدل على نباتات وأطعمة محلية وأسماء مدن، وفي هذه المرحلة يمكن أن نقول إنّ اللغة قد ماتت، أو على نحو أدق، إنّ اللغة الإنجليزية (وهي اللغة ذات الهيمنة الاجتماعية والسياسية في تلك المنطقة) قد اغتالتها<sup>25</sup>.

وقام نورمان دينسون ببحث مشابه، تناول فيه موت اللغة الألمانية في جماعة ثلاثية اللغة (لغة إيطالية، ولغة فرولية، ولغة ألمانية). واستنتج (دينسون) أنّ الألمانية تلاشت على ألسنة هذه الجماعة في تلك المنطقة؛ لأن الإيطالية كانت مهيمنة اجتماعياً<sup>26</sup>. وأوجز د. مصطفى التوني كلاماً لـ(فندريس) مجمله أنّ اللغة لا تموت لكبر سنها أو لضعفها، ولكن لأنّ لغة جديدة قد هيمنت عليها اجتماعياً وسياسياً. "وليس هناك شاهد على أنّ هناك ضعفاً في بنية اللغة المُحتضرة أو نقصاً جوهرياً فيها أدى إلى احتضارها. واللغة الجديدة التي



حلت محل اللغة الأخرى ليست أفضل من جهة البنية الأساسية، وليست أسوأ من اللغة القديمة. ولكنَّ مردَّ الأمر إلى الهيمنة الاجتماعية والسياسية<sup>27</sup>.

### من نشاطات الأمم المتحدة في مجال اللغات:

تعد اللغة من أبرز المقومات في حياة الأمم؛ فهي مظهر هويتها، وحاضنة معارفها وتراثها وثقافتها، وهي المرآة التي تعكس حياة الأمة في جميع جوانبها... وكما استفاد الباحثون من نصوص اللغات وتاريخها، فاستنبطوا منها كثيرًا من خصائص الأمة، وأنماط معيشتها، وطرائق تفكيرها، ومراحل تاريخها... فهي سجل دقيق وأمين للمعارف والعلوم والثقافات... ولهذه المكانة المرموقة للغات عُيِّت بها الأمم المتحدة ممثلة بأبرز هيئاتها وهي اليونسكو راعية شؤون العلم والثقافة. فخصّصت (اليونسكو) عام 2008م للغات، فعقدت أنشطة متنوعة ركزت على أهمية اللغات، وضرورة رعايتها والمحافظة عليها، ورأت أن التعدد اللغوي من أهم العوامل المساعدة على التعليم والتنمية. ورأت أن اندثار لغة ما من لغات العالم يعني موت ثقافة وتراث لو قُدِّر لهما الاستمرار لكان لهما أثر فعال في التعليم والتنمية والتواصل الاجتماعي والتعايش الحضاري بين الشعوب. قال المدير العام لليونسكو "كويشيرو ماتسورا": "فإن اختفاء لغة من اللغات يؤدي إلى اختفاء العديد من أشكال التراث الثقافي غير المادي، لاسيما ذلك التراث الثمين القائم على التقاليد، وعلى أشكال التعبير الشفهي؛ من قصائد وأساطير وأمثال ونكات لدى المجتمعات التي تتداولها. كما أنّ فقدان اللغات يجري على حساب العلاقة التي يقيمها الإنسان مع التنوع البيولوجي حوله؛ لأن اللغات تنقل في الحقيقة الكثير من المعارف عن الطبيعة والكون"<sup>28</sup>.

وقد وُضِعَت خطط مهمة في عام اللغات (عام 2008م)، للنهوض بلغات العالم، ورعاية التعدد اللغوي الذي يعد عاملاً مهماً في تنمية الثقافة والتطور الفكري والعلمي والاقتصادي، وتعزيز التواصل الحضاري في عصر العولمة. ومن هذه الخطط أو المشاريع:

- 1- التعليم للجميع: توفير تعليم جيّد لكل طفل، وكل ناشئ، وكل راشد بحلول عام 2015م.
- 2- محو الأمية باللغات المحلية سبيل إلى التعلم والمشاركة الحضارية الفعّالة.
- 3- تشكيل لجان متعددة التخصصات تكاد تشمل معظم الميادين العلمية والثقافية والإنمائية، وجعل اللغات من أهم جسور نقل المعارف والعلوم بين الأمم.

وعن أحوال لغات العالم ذكر أطلس اللغات المهددة بالاندثار أنّ هناك أكثر من 50% من اللغات المحكية حاليًا في العالم والبالغ عددها 7000 لغة معرضة للاندثار، في غضون بضعة أجيال. وقد صنّف هذا الأطلس اللغات المهددة بالاندثار و عددها (2500) لغة في خمسة مستويات، هي: 1- 607 لغات من اللغات الهشة 2- 632 لغة معرضة للخطر 3- 502 لغة معرضة للخطر الشديد 4- 573 لغة من اللغات المحتضرة (الموشكة على الاندثار) 5- 200 لغة ماتت على مدى الأجيال الثلاثة الأخيرة<sup>29</sup>.

وذكر تقرير لمنظمة اليونسكو أنّ ما بين (250-300) لغة من لغات العالم يفترض سنويًا<sup>30</sup>. وتشير الإحصاءات إلى أن 90% من اللغات المحلية ستختفي في القرن الحادي والعشرين. والخطير في الأمر أنّ 32% من هذه اللغات المحلية هي من لغات قارة آسيا، وأنّ 30% منها من لغات أفريقيا، و 19% في منطقة

المحيط الهادي، و 15% في القارة الأمريكية، و 3% فقط في أوربة<sup>31</sup>. وللهيمنة اللغوية (العولمة اللغوية) أسباب كثيرة؛ اقتصادية، واجتماعية، وسياسية. وأكثر اللغات المعرضة للانقراض بسبب العولمة عامة، والعولمة اللغوية خاصة، هي اللغات المحلية<sup>32</sup>.

وقال د. هادي نهر مبيناً خطر العولمة عامة، وخطر العولمة اللغوية خاصة؛ كسيادة اللغة الإنجليزية: "... وليس بجديد إذا قلنا: إنَّ عولمة الثقافة، وسيادة اللغة الإنجليزية – مثلاً- على حساب اللغة العربية... أشد خطورة وضرراً على العرب من الاستعمار الذي ذاقوا مرارته؛ لأنَّ عولمة لغة أجنبية على حساب اللغة العربية الأم من أخطر العولمات فتكاً واستلاباً للثقافة العربية والحضارة العربية، والمستقبل العربي؛ لأنَّ هذه العولمة ستؤدي إلى قطع صلة أبناء الأمة بكل شيء يملكونه من الإرث الحضاري والثقافي"<sup>33</sup>.

ويبدو أنَّ الانبهار بلغة الطرف الغالب (في معظم الأصعدة) له ما يسوِّغه نفسياً أو تاريخياً. قال ابن خلدون في (المقدمة): "... إنَّ المغلوب مولع أبداً بالاقْتداء بالغالب؛ شعاره، وزِيَّه، ونَحْلَتِه، وسائر أحواله وعوائده؛ والسبب في ذلك أنَّ النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها"<sup>34</sup>.

ونشهد في عصرنا حركة محمومة لنشر اللغة الإنجليزية على السنة أبناء العربية، وهذه الظاهرة بادية للعيان دون حاجة إلى براهين؛ ففي دول عربية كثيرة اتجاه واضح لتدريس العلوم كلها باللغة الإنجليزية بدءاً من المرحلة الابتدائية وانتهاء بمراحل التعليم العالي<sup>35</sup>. هذا عن العربية في موطنها وبلدانها وبين ظهرائي أهلها، فماذا عن العربية خارج أوطانها وبعيداً عن أصحابها؟ بطبيعة الحال فإن الموقف أصعب بل أسوأ، فإذا كان المرء مضيقاً حقاً، فغيره لحقه أضياع. فكيف نطالب غيرنا بالتمسك بما نحن هجرناه أو أعرضنا عنه. ففي الأمم المتحدة اتجاه متحرك نحو إلغاء اللغة العربية لغة عالمية في المنظمة الدولية لأسباب كثيرة؛ مجملها تعود إلى تقصير أهلها نحوها. ومما يؤكد الاتجاه الذي يرمي إلى إقصاء العربية، أمثلة كثيرة؛ منها: أنَّ (الشهادة الثانوية الفرنسية = البكالوريا) كانت تسمح للطلاب باختيار لغة ثانية؛ كالإنجليزية، أو الألمانية، أو الإسبانية، أو العربية. وابتداء من عام 1995م ألغيت اللغة العربية من بين اللغات التي يسمح باختيارها للامتحان لغة عالمية ثانية<sup>36</sup>.

ولعله من المفيد أن نقارن بين موقف أسلافنا في المحافظة على العربية وموقف أجيالنا المعاصرة؛ لتتضح الهوية بين الموقفين، وقد يكون في هذا التوضيح حفز لنا على الوفاء بحق اللغة علينا. فمما أثر عن محبي العربية قول أحدهم: اللحن في اللغة أقبح من الجُدريِّ في الوجه. وقول الآخر: شيبنتي أعواد المنابر مخافة اللحن. هكذا كان حبههم للعربية وحرصهم على إتقانها. ونقول اليوم: من الذي شيبنته أعواد المنابر منا في هذه الأيام مخافة اللحن؟ فالمنابر والأقلام – اليوم- شيبنتنا مخافة اللحن في اللغات الأجنبية... وللأسف أصبحت اللغة العربية الفصيحة اللغة الثانية... بل أصبحت – عند بعضهم- هامشية، لا ندري ما مرتبتها في سلم الأولويات اللغوي...! وغدت أدوات كسب الرزق بعد المؤهل العلمي، إتقان اللغة الشائعة (وهي الإنجليزية)، والتمكن من مهارات الحاسوب الأساسية.. ولم تُدرج العربية الفصيحة في مطالب جهات العمل والتوظيف... فلقيت – للأسف الشديد- صدوداً من أهلها وإعراضاً لم تعهدهما إلا في عصور الظلام وتحكم الأجنبي في رقاب أبنائها... ومحاربة العربية من المستعمرين أمر متوقع وليس بمستغرب، ولكن الغريب بل

المؤلم أن يقع الإهمال من كثير من أبنائها وأهلها؛ لأسباب يطول سردها... ولكنها – في المحصلة- أسباب مؤسفة إن لم تكن هزيمة وتحاذلاً.

ولعل الإشارة إلى بعض النقاط الإيجابية في واقع العربية أو حالتها الراهنة<sup>37</sup> بعد الصورة القائمة التي مر ذكرها، تفتح نافذة التفاؤل وعلو الهمة لحقيق النهضة اللغوية:

1- لا جدال في أن كون العربية لغة القرآن الكريم، يمنحها منزلة سامية تمتاز بها على غيرها من اللغات.

2- وهي اللغة الرسمية لـ(22) دولة عربية، ولعدد من المنظمات المهمة؛ كجامعة الدول العربية، والمؤتمر الإسلامي، واليونسكو، والأمم المتحدة.

3- تبث بها أكثر من خمسمئة محطة فضائية عربية وأجنبية. وفي إحصائية للفضائيات على القمر الأوربي أجريت عام (2005م)، ظهر أن هناك (80) قناة. تبث بالعربية (34) منها، و(22) بالإنجليزية، و (5) فقط بالفرنسية.

4- وهناك اهتمام أجنبي باللغة العربية، ففي تقرير لمجلة (Science) أشار إلى أن العربية ستحتل المركز الثالث عام 2050م بعد الصينية والهندية، وقبل الإنجليزية، والإسبانية.

وهناك مشروع (الإيسيسكو) الساعي إلى كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، ووضع معجمات عربية لهذه اللغات، وقد أكدت منظمة (الإيسيسكو) تصميم منهج لتعليم العربية للمرحلة الأساسية، في دول الساحل والصحراء التسع، وجنوب ليبيا، وجنوب موريتانيا.

وقد أظهرت إحصاءات متوافرة عالمية شملت ما يربو على ثلاثة عقود (1958- 1992)م، أن درجات من الهبوط طرأت على استعمال بعض اللغات المشهورة؛ كالإنجليزية، والفرنسية والألمانية، والروسية، واليابانية، وأن زيادة وقعت في استعمال لغات أخرى؛ كالعربية والهندية، والأندونيسية، والبنغالية، والصينية، والإسبانية، والبرتغالية. وقد هبط عدد المتحدثين بالإنجليزية من (9,8) عام 1958م إلى (7,6) عام 1992م. والجزء المتحدث من سكان العالم باللغات الغربية الخمس الرئيسة (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والبرتغالية، والإسبانية) قد هبط من (24,1%) عام 1968م إلى (20,8%) عام 1992م<sup>38</sup>. وقد شهد الإقبال على العربية زيادة ملحوظة تدعو للتفاؤل وفي الجدول الآتي مزيد بيان لهذه الظاهرة<sup>39</sup>:

[المتحدثون باللغات الكبرى بالنسبة إلى عدد سكان العالم]:

اللغة	1958	1970	1980	1992	النتيجة
العربية	2,7	2,9	3,3	3,5	تزايد
الإنجليزية	9,7	9,1	8,7	7,6	تناقص
الهندية	5,2	5,3	5,3	6,4	تزايد
الروسية	5,5	5,6	6,0	4,9	تناقص
الإسبانية	5,0	5,2	5,5	6,1	تزايد

## من سبل النهوض باللغة العربية:

وللنهوض باللغة العربية والمحافظة عليها سبل كثيرة، تشمل مكونات المجتمع جميعاً بدءاً من الفرد ومروراً بكل المؤسسات والأصعدة وانتهاءً بالقادة وأصحاب القرار. ومجمل القول هو أن ارتقاء اللغة مرهون بارتقاء أصحابها؛ فهي تملو بعلو مكانتهم العلمية والحضارية، وتهبط بهبوط مكانتهم؛ ففي الأعصر الذهبية للأمة العربية لاقت اللغة رواجاً ونفوذاً وإقبالاً على تعلمها من أهلها ومن غيرهم، وعندما تراجعت مكانة الأمة ودورها القيادي تراجع الاهتمام بالعربية، وواجهت كثيراً من الصدود والإعراض من أبناء جلدتها ومن غيرهم. إنه قانون مطرد لا يكاد يتخلف.

وقد أكد الإمام ابن حزم العلاقة المطردة بين اللغة والأمة في حالتي الارتقاء والتردي، أو الازدهار والانحطاط، كما أكد ذلك ابن خلدون. قال ابن حزم: "إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو تنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها.... وأمّا من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود (اندثار) علومهم، هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل"<sup>40</sup>.

فعندما تستعيد أمتنا دورها الحضاري ومكانتها الريادية، فسنرى أن لغتنا يزداد الإقبال على تعلمها والاهتمام بها. ولكن هذا لا يعني انتظار مجيء هذا الدور الريادي المرتقب، فقد يبعد مجيئه ويتأخر.. لأنه نتاج عوامل كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا. ولكن المأمول من أبناء الأمة ألا يتوانوا عن مشروعهم اللغوي، مشروع النهوض بالعربية والمحافظة عليها. فعلى كل فرد أو أسرة أو جماعة، أو طبقة، أو صاحب قرار أن يتحملوا مسؤولياتهم كاملة نحو لغتنا التي تشكل هويتنا وتعد أبرز مظاهر انتمائنا.

ومن العوامل المساعدة في هذه النهضة الواجبة، الاستفادة من تجارب الشعوب التي اتخذت لغاتها الأم لغة التعليم في جميع فروع العلم؛ كالفرنسيين، والألمان. فما أكثر القوانين التي تحصن اللغة الوطنية من هيمنة الإنجليزية. والتجربة الكورية مثال حي لاعتزاز الشعوب بلغاتها. فقد اعتمدت كوريا الجنوبية في التنمية الصناعية والبشرية على قدراتها ولغاتها. ففيها (110) قناة كلها خاصة، ما عدا قناة حكومية واحدة، وجميعها تبث بالكورية السليمة طبقاً للسياسة اللغوية للدولة. أما الماليزيون – وهم أحد نمور آسيا - فقد جعلوا اللغة الملاوية لغة علمهم وتعليمهم وصناعاتهم<sup>41</sup>.

ومن الدول التي عنيت بلغاتها أيضاً الصين، واليابان. ففي الصين صدر عام (2001)م قانون يلزم وسائل الإعلام بالأسس المتعارف عليها في اللغة الصينية المعتمدة. ومتصفح (الشابكة= الإنترنت) – اليوم- يجد أن المنشور في اللغة الصينية أكثر من المنشور باللغة الإنجليزية، في العلوم البحتة. أما اليابان فقد اعتمدت لغتها القومية في التعليم منذ المراحل الأولى إلى المراحل العليا. ورأى اليابانيون أنه لا يمكن لأمة أن تبذع وأن تسجل تفوقاً حضارياً إلا بلغتها الأم، والعالم لا يستمع إلى أمة لا تتحدث بلغتها<sup>42</sup>. وقد قارن (مالك بن نبي) بين موقفنا وموقف اليابان والصين وكوريا وغيرها من الحضارة الغربية، فقال: "لقد وقفت اليابان والصين، وكوريا وغيرها من البلدان من الحضارة الغربية موقف التلميذ، ووقفنا منها موقف (الزبون). إنهم استوردوا (المعارف) بوجه خاص، ونحن استوردنا (الأشياء) بوجه خاص"<sup>43</sup>.

واستثمار ما تقوم به المجامع اللغوية العربية، ومؤسسات التعريب والترجمة يعزز الارتقاء اللغوي المنشود. وتعريب التعليم غاية في الأهمية لرفد النهضة اللغوية؛ فالتعليم باللغات الأجنبية يضعف هذه النهضة. ولو كان التعليم بالعربية لنشطت حركة التأليف، والترجمة، والتعريب، ووضع المصطلحات العلمية، ولازداد إعداد المعجمات الطبية، والهندسية، والزراعية، والتجارية وغيرها من العلوم. ونظراً للموقع المؤثر الذي استأثر به الإعلام في عصرنا، فلا بد أن تحرص مؤسساته على جعل العربية الفصيحة هي السائدة، دون أن تنازعها اللهجات العامية واللغات الأجنبية. وإنّ تعريب التعليم والتركيز على العربية الفصيحة لا يعنيان بحال التخلي عن اللغات الأجنبية، بل علينا أن نمح هذه اللغات ما تستحقه من الاهتمام؛ لأن اللغات العالمية تعد نوافذ حضارية لا يمكن الاستغناء عنها، أو إهمالها في عصر غدا العالم فيه أشبه بقرية صغيرة، بعدما شهد من مظاهر التطور (التقني)، والعلمي بوجه عام، وهو ما لم تشهد البشرية له مثيلاً عبر العصور.

ولا أظن أننا بحاجة إلى تكرار ما تمخضت عنه مؤتمرات وندوات ودراسات كثيرة حول النهضة اللغوية، فتكاد تجمع كل المحافل والبحوث على نقاط كثر ترددها أو تكرارها، (مفصلة تارة ومجملة تارة أخرى). ومنها (في عبارات مقتضبة): تنمية الوعي اللغوي، والتخطيط الشامل للنهضة اللغوية في جميع الميادين والمناشط الحياتية (في التعليم، والإعلام، والزراعة والصناعة والتجارة...)، على أن يكون ذلك مشفوعاً بحب العربية والاعتزاز بها، وبذل كل الجهود من أجل النهوض بها والمحافظة عليها. وبكلمة واحدة (الإخلاص) للعربية. قال (جورج أرويل): "أكثر ما يضير اللغة عدم إخلاص أهلها لها"<sup>44</sup>.

وبوجه عام، لم يخل مؤتمر أو اجتماع، أو ندوة عقدت لتدارس أحوال العربية إلا خُتِمَت جميعاً بتوصيات واقتراحات وخطط مهمة، تكاد تكون مكرورة لوضوحها واشتهارها. ولعل ما جاء في طيات هذا البحث قد اشتمل على إضاءات سريعة لأبرز تلك التوصيات.

ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم، فقد أجاد أيّما إجادة عندما جعل اللغة العربية تتحدث عن نفسها، معربةً عن حسرتها على ما ألمّ بها؛ لتقصير أهلها في حقها، باثةً شكواها إلى بني جلدتها وحُماتها مستصرخة أهل الهمم؛ لعلهم يشمرون عن سواعد الجد؛ لنجدتها وصونها وإحلالها محلها اللائق بها: ومن أبيات هذه القصيدة الرائعة:

- |  |                             |
|--|-----------------------------|
| 1- أنا البحر في أحشائه الدر كامن       | فهل ساءلوا الغواص عن صدقاتي |
| 2- وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً         | وما ضقت عن أيّ به وعظّاتٍ   |
| 3- أيّطربُكُمْ من جانب الغرب ناعبٌ     | ينادي بوأدي في ربيع حياتي   |
| 4- أيهجرتني قومي - عفا الله عنهم -     | إلى لغةٍ لم تتصلّ برواةٍ    |
| 5- إلى مَعشَرِ الكُتّابِ والجمعِ حافظٌ | بسطت رجائي بعد بسط شكاتي    |

## الحواشي:

- <sup>1</sup> سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص7.
- <sup>2</sup> (5-1) د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية، ص9-10.
- <sup>3</sup> السابق، ص22، دت، ص10.
- <sup>4</sup> د. عبد العال سالم مكرم: التعريب في التراث اللغوي (مقاييسه وعلاماته)، ص75.
- <sup>5</sup> د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية، ص10.
- <sup>6</sup> د. عبد العالم سالم مكرم: مرجع سابق، ص75. وينظر د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية، مرجع سابق، ص66.
- <sup>7</sup> د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية، مرجع سابق، ص60.
- <sup>8</sup> يوهان فك: العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)، ترجمه د. رمضان عبد التواب، ص242.
- <sup>9</sup> السابق: ص67.
- <sup>10</sup> عباس محمود العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين، ص6.
- <sup>11</sup> المرجع السابق، ص6.
- <sup>12</sup> ينظر: د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص363 - 364. ومحمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، ص276 ومابعدها. د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية، ص92-148، 93-154.
- <sup>13</sup> د. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص166-167.
- <sup>14</sup> سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص147 (نقله عن: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألويسي، ط2، 1924م، (264/1)). وغيره (ينظر: هامشا الصفحة 147 من كتاب أم اللغات للأستاذ سعيد البيومي).
- <sup>15</sup> نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، ص355. (ص108).
- <sup>16</sup> عبد العزيز فهمي (قدّم اقتراحاً بهذا الشأن إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1944)، ورفض المجمع هذا المقترح). ينظر: سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص110-111.
- <sup>17</sup> دعا إلى ذلك الدكتور عبد المالك بو حجرة (من الجزائر). ينظر المرجع السابق.
- <sup>18</sup> سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص109-110.
- <sup>19</sup> المرجع السابق: ص115-123. و: د. نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب (العرب وعصر المعلومات)، العدد184، أبريل 1994، ص181.
- <sup>20</sup> سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص115-123.
- <sup>21</sup> سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص145.
- <sup>22</sup> السابق.
- <sup>23</sup> سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص150. هو أحمد حسين، الذي أصبح فيما بعد زعيماً لحزب " مصر الفتاة". تنظر مؤلفات الكاماة لأحمد حسين إيماني، دار الشروق القاهرة، ط1، 1981م، ص44.
- <sup>24</sup> سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص144.
- <sup>25</sup> د. مصطفى زكي التوني: علل التغيير اللغوي، حولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثالثة عشرة، الرسالة 84، ص93.
- <sup>26</sup> السابق: ص94.
- <sup>27</sup> د. مصطفى التوني: علل التغيير اللغوي، ص94. عنه (فندريس ص353-358).
- <sup>28</sup> المدير العام لليونسكو: البيان الصحفي رقم 2009-15، (الشبكة الدولية، موقع السنة الدولية للغات).
- <sup>29</sup> اليونسكو: البيان الصحفي (رقم 2009-15)، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)- موقع السنة الدولية للغات.
- <sup>30</sup> د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة، ص29.
- <sup>31</sup> السابق: ص15.
- <sup>32</sup> د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة، ص15.
- <sup>33</sup> د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1 عام 1431هـ - 2010م، ص15.
- <sup>34</sup> د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة، ص22. وعنه: (ابن خلدون: المقدمة الفصل الثالث والعشرون)، ص149.
- <sup>35</sup> هناك أكثر من 400 كلية عربية للطب والصيدلة لغة التدريس فيها اللغة الأجنبية، وليس سوى خمس أو ست كليات من هذا العدد الكبير لغة التدريس فيها اللغة العربية. (د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة. ص22، الهامش:1).

- 36 المرجع السابق، ص23.  
 37 السابق ص27-28.  
 38 السابق ، ص31-32.  
 39 السابق: ص32.  
 40 د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية، ص60-61.  
 41 السابق، ص35-36.  
 42 السابق، ص35-36.  
 43 السابق: ص35.  
 44 سعيد بيومي: أم اللغات، ص170.

### المراجع:

- 1- د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية، دار الشرق العربي، حلب-سورية (بيروت - لبنان)، ط2، دبت، ص9-10.
- 2- د. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1408 هـ - 1988 م، ص166-167.
- 3- سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1423 هـ / 2002 م، ص109-110.
- 4- سعيد الأفغاني: في أصول النحو، مطبعة الجامعة السورية، ط2، سنة 1376 هـ - 1957 م، ص7.
- 5- د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط13، نيسان 1997 م.
- 6- عباس محمود العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين، الناشر (دار القلم- مكتبة النهضة المصرية)، ص6.
- 7- محمد المبارك: دار الفكر، بيروت، ط3، 1968 م.
- 8- د. عبد العال سالم مكرم: التعريب في التراث اللغوي (مقاييسه وعلاماته)، عالم الكتب، 1421 هـ - 2001 م،
- 9- المدير العام لليونسكو: البيان الصحفي رقم 2009-15، باريس، 19/شباط/فبراير/2008، بمناسبة تقديم الطبعة الجديدة من أطلس لغات العالم المهددة بالاندثار- (الشبكة الدولية، موقع السنة الدولية للغات).
- 10- د. مصطفى زكي التوني: علل التغيير اللغوي، حولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثالثة عشرة، الرسالة 84، 1412 - 1413 هـ - 1992-1993 م، ص93.
- 11- د. هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1 عام 1431 هـ - 2010 م، ص15.
- 12- اليونسكو: البيان الصحفي (رقم 2009-15)، باريس 19/شباط فبراير/ - 2008 م بمناسبة تقديم الطبعة الجديدة من أطلس لغات العالم المهددة بالاندثار، الشبكة (الإنترنت)- موقع السنة الدولية للغات.
- 13- اليونسكو: كتيّب السنة الدولية للغات (2008 م)، (موقع السنة الدولية للغات- الشبكة= الإنترنت).
- 14- يوهان فك: العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)، ترجمه، وقدم له، وعلق عليه، وصنع فهرسه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، 1400 هـ - 1980 م، ص242.